الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الفوانيس

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

مقابلة صحفية مع أمير المؤمنين*

ثلاثة وثلاثون نداء بأسلوب استفهام عصري

ـ رياض نجيب الريّس ـ

وضع هذه الأسئلة لمجلة «المستقبل» : (ع ٣١٤/٢٦ شباط ١٩٨٣/س ٧) . . الكاتب والصحافي المشهور «رياض نجيب الريس» . . مستفسراً بها عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) : لشؤون معاصرة ، تشغل بال الجميع . . وقد مهد لذلك بمقدمة نفسية وتاريخية : اجتذبت كثيرين من مفكري أوروبا وآسيا . . حتى أن أسئلة مختلفة ، ومن وزراء إعلام عرب . . وردت إلى «الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية» بباريس . . باعتبار «مجلة المستقبل» : تصدر في باريس أيضاً . . . وهذه الأسئلة العصرية وجهها كاتب معاصر إلى «باب أساسي من أبواب المعرفة» ، لعل السائل الحيران يجد إرشاداً وأماناً عند المسؤول العارف ، كما يقول في مقدمة حديثه . . وهذه هي :

«وفي زمن الأبواب المغلقة ، ليس أمام الصحافي خيارات كثيرة . وفي زمن البحث عن طريق آمن وسط ظلمة هذه الأيام ، ليس هناك من يجرؤ أن يتباسط مع صحافي عن مدلولات اليوم طموحاً للوصول إلى معالم الغد .

داخل هذا الزمن العربي الرديء ، وفي أشهر التمزق الذي عاشه المواطن العربي منذ الغزو الاسرائيلي للبنان ، وسقوط الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ، باعترافها ومن دون اعترافها ، تحت ظلال «السلام الاسرائيلي» ، لم أجد أحداً أعرفه في العالم فأطرق بابه لأسأله عن الذي يجري ولماذا يجري وكيف يمكن أن يقف ؟ صار اليأس كلمة نكررها صباح أو مساء كل نهار .

رحت أبحث عمن يقول لي شيئاً . قلت لنفسي : ليس في هذا العصر من هو على استعداد لأن يمد رأسه من أية كوة مهما صغرت . حاولت أن أطرق باباً أساسياً من أبواب المعرفة ، لعل صاحبه يجيب السائل الحيران .

---

* قدم الدكتور أسعد علي بحثاً لمهرجان الغدير (لندن) بعنوان (القيادة كلمة في قاموس علي) . والحق به ملاحق في التربية العملية «والبلاغة الممارسة» آخرها هذه المقابلة التي تضمنت حواراً صحفياً أجراه رياض نجيب الريس مع أمير المؤمنين ولأن البحث قد طُبع في كتاب المهرجان فإننا نكتفي بهذا الحوار الذي أحب صاحبُ (القيادة) أن يكون ملحقاً ختامياً لها .

قررت أن أزور الإمام علي بن أبي طالب في «نهج البلاغة» سعياً وراء حديث صحافي مع خليفة رسول الله وسيد الشهداء وأمير المؤمنين . ولم يسبق لي أن عرفت علي بن أبي طالب من قبل . كانت معرفتي به سطحية تاريخية كمعرفة المئات من المسلمين أمثالي . فكان لا بد أن أطرق كتاب السيد الشريف الرضي ليقودني إلى باب علي بن أبي طالب ويفتحه لي في «نهج البلاغة» وهو الذي اختاره من كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه .

وفتح السيد الشريف الرضي الباب في «نهج البلاغة» على مصراعيه ، وكان هذا الباب بالنسبة لي في ساعات الظلمة الكثيرة التي مرت علينا : نوراً ساطعاً . ومن أنقاض الذل الذي تمسحنا فيه كلنا ومن بين دركات العار التي وصلناها ، أتاح لي الشريف الرضي عبر أسابيع طويلة ، راحة كبرى ، ساعدني فيها شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده .

وتوالت الأسئلة ، وما كان أكثرها . وطالت الأجوبة وما كان أسخاها . ولأن الأسئلة كانت من واقع اليوم فلم أشأ أن أجرح سيدي الإمام بأن أضع أجوبته في أيدي رقباء هذا العصر . لذلك ليس في حديثي المنشور اليوم : رأيه في أهل العراق ولا رأيه في أهل الشام ولا رأيه في الفرس ولا في الأتراك ولا في أهل مكة والكوفة والبصرة . وكما يقول سيدي الإمام : «مَن تذكرَّ بُعد السفر استعد» ، فقد استعددت بأن يكون حديثي بعيداً عن مزالق أيامنا المعاصرة هذه . ولعل أهم ما في آرائه غير المنشورة هو أنها تختصر الزمن كله . وكأن التاريخ لم يغير من طبائع هذه الشعوب ولم يعلمها درساً واحداً» .

كان لا بد من بداية لحديثي مع الإمام علي بن أبي طالب . فاستأذنته بسؤالي الأول :

١ ـ سيدي أمير المؤمنين . ما هذا الزمان الذي تعيشه أمتك ؟

ـ يأتي على الناس زمان لا يُقربَّ فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا المنصف . يعدون الصدقة فيه غرُماً . وصلة الرحم منّاً . والعبادة استطالة على الناس . فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان . (. . . لكن) إذا تغير السلطان تغير الزمان . (. . . و) صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبَط بموقعه وهو أعلم بموضعه . . (. . . و) آلة الرياسة سعة الصدر . (. . . لكن) مَن مَلَكَ استأثر[1] .

٢ ـ لكن كيف يواجه المرء ، يا أمير المؤمنين ، آلة الحكم وسلطان الحاكم والوضع العربي كما نعرفه اليوم عاجز ومشلول ؟

ـ «لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل»[2] .

٣ ـ وهل يعمل الحاكم بمشورة المحكومين يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) ٤/٢٣ ـ ٣/٥٦ ـ ٤/٦٣ ـ ٤/٤٢ ـ ٤/٤١ . (٢) ٤/١٠٨ .

ـ «من استبدَّ برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها . (. . . . و) من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الأخطاء»[٣] .

٤ ـ لقد أصبح الظلم من معالم أمتك يا سيدي الإمام . أليس لهذا الظلم من نهاية ؟

ـ «الظلم ثلاثة : ظلم لا يُغفر ، وظلم لا يُترك ، وظلم لا يُطلب . (. . . . و) يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم. (. . .و) يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم»[٤] .

٥ ـ لكن سلطان هذا الزمان يضيق صدره بالعدل يا سيدي ؟

ـ «من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[٥] .

ـ «لا ينبغي أن يكون الوالي (. . .) البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته . ولا الجاهل ، فيضلهم بجهله . ولا الجافي ، فيقطعهم بجفائه . ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم . ولا المرتشي في الحكم ، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع»[٦] .

٧ ـ أين الوطن يا سيدي الإمام ، وقد أصبحنا كلنا نعيش في غربة قاسية ؟

ـ «ليس بلد بأحق من بلد ، خير البلاد ما حملك . (. . .) الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة»[٧] .

٨ ـ لكن الفقر يا أمير المؤمنين ، ليس هو غربتنا الوحيدة . يكاد الفقر يكون مقيماً معنا في عصر الغنى العربي .

ـ ألم أقل لابني محمد بن الحنفية : يا بُني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه . فإن الفقر منقصة للدين ، مدهشة للعقل داعية للمقت . (. . .) الفقر هو الموت الأكبر (. . .) ولو كان الفقر رجلاً لقتلته[٨] . .

٩ ـ لقد شح عطاؤنا يا أمير المؤمنين ، حتى يوم كثر مالنا .

ـ «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه . (. . .) ومن كثرت نِعَمُ الله عليه كثرت حوائج الناس إليه . (. . .) إن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرّمه في الناس ويهينه عند الله . (. . . لكن) ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى . (. . .) فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له»[٩] .

١٠ ـ لكن الحاجة تدفع إلى الطلب أحياناً كثيرة يا سيدي الإمام ؟

---

(٣) ٤/٤١ ـ ٤/٤٢ .
(٤) ٢/٩٥ ـ ٤/٥٣ ـ ٤/٨٠ .
(٥) ١/٤٦ .
(٦) ٢/١٤ .
(٧) ٢/١٤ .
(٨) ٤/٧٦ ـ ٤/٤١ .
(٩) ٤/١٥ ـ ٤/٨٨ ـ ٧/ ـ ٢/٥٥ ـ ٤/٣٨ .

ـ «إن حفظ ما في يديك أحب إليَّ من من طلب ما في يد غيرك . ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس»[١٠] .

١١ ـ والطمع ؟

ـ «الطمع رق مؤبد»[١١] .

١٢ ـ والعلم يا سيدي ، أين منه المال ؟

ـ «العلم خير من المال . والعلم يحرسك وأنت تحرس المال . المال تنُقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق (. . .) العلم حاكم والمال محكوم عليه . (. . .) إن المال من غير علم كالسائر على غير طريق»[١٢] .

١٣ ـ أحوال العبادة في عالمنا قد ساءت يا سيدي الإمام . لم تعد تدري كيف يتعبد الناس يا أمير المؤمنين ، وبماذا تؤمن ؟

ـ «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار . وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد . وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[١٣] .

١٤ ـ ما الفرق بين العاقل والأحمق يا أمير المؤمنين ؟

ـ «لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه»[١٤] .

١٥ ـ والأحمق ماذا يريد عادة ؟

ـ «إنه يريد أن ينفعك فيضرك» .

١٦ ـ والبخيل ؟

ـ «فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه» .

١٧ ـ والفاجر ؟

ـ «فإنه يبيعك بالتافه» .

١٨ ـ والكذاب ؟

ـ «فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب»[١٥] .

١٩ ـ والمرأة يا أمير المؤمنين ، أين هي من كل هذا ؟

ـ «إن البهائم همها بطونها . وإن السباع همها العدوان على غيرها . وإن النساء همها زينة الحياة الدنيا والفساد فيها»[١٦] .

---

(١٠) ٣/٥٢ .
(١١) ٤/٤٢ .
(١٢) ٤/٣٦ ـ ٢/٤٤ .
(١٣) ٤/٥٣ .
(١٤) ٤/١١ .
(١٥) ٤/١١ .
(١٦) ٢/٤٣ .

٢٠ ـ والغيرة ؟

ـ «غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان»[١٧] .

٢١ ـ أليس من الصعب الحكم على النوايا يا سيدي الإمام ؟

ـ «وما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[١٨] .

٢٢ ـ كيف نعامل الناس يا أمير المؤمنين في ظل هذه الظروف الصعبة ؟

ـ «وخالطوا الناس مخالطة ان متُّم معها بكوا عليكم ، وإن عشتم حنُّوا إليكم . (. . .و) لايكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلاّ وجهك . (. .لقد) هانت عليه نفسه من أمَّر لسانه»[١٩] .

٢٣ ـ وأعداؤنا ؟

ـ «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»[٢٠] .

٢٤ ـ وهل نصالح أعداءنا يا سيدي الإمام ؟

ـ «لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى ، فإن الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه . فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن»[٢١] .

٢٥ ـ كيف نسعى يا سيدي أمير المؤمنين بين الحق والباطل ؟

ـ «الباطل ان تقول سمعت والحق أن تقول رأيت . (. . .و) الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل في باطل إثمان : إثم العمل به وإثم الرضى به . (. . .و) مَن صارع الحق صرعه»[٢٢] .

٢٦ ـ وكيف نعمل إذن يا أمير المؤمنين ؟

ـ «إحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحى منه في العلانية . واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه»[٢٣] .

٢٧ ـ والحياة ، كيف نواجهها والحالة هكذا يا سيدي ؟

ـ «ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلا الحياة فإنه لا يجد له في الموت راحة»[٢٤] .

---

(١٧) ٤/٢٩ .
(١٨) ٤/٧ .
(١٩) ٤/٤ ـ ٣/١٢٧ ـ ٤/٣ .
(٢٠) ٤/٤ .
(٢١) ٣/١٠٥ .
(٢٢) ٢/٢٤ ـ ٤/٤٠ ـ ٤/٩٥ .
(٢٣) ٣/١٢٩ .
(٢٤) ٢/١٦ .

٢٨ ـ والدهر كيف نعامله يا مولاي الإمام ؟

ـ «الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك . فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر»[٢٥] .

٢٩ ـ لكن اللؤم يكاد أن يطغى على دهرنا هذا يا سيدي ؟

ـ «احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع»[٢٦] .

٣٠ ـ بل كيف ندفع التهمة عنا ؟

ـ «من وضع نفسه مواضع التهمة لا يلومنَّ من أساء له الظن»[٢٧] .

٣١ ـ والإصرار على الجهل ، كيف نحترس منه يا سيدي ؟

ـ «من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق»[٢٨] .

٣٢ ـ حتى لو أصبحنا اليوم من غير أصدقاء ؟

ـ «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه مَن ضيَّع من ظفر به منهم . (. . . لكن) لا تتخذن عدوَّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك»[٢٩] .

٣٣ ـ أين الأمل في كل هذا يا أمير المؤمنين ؟

ـ «مَن وثق بماء لا يظمأ»[٣٠] .

٣٤ ـ أليس من مسك لختام حديثنا هذا يا سيدي أمير المؤمنين ؟

ـ «ما أكثر العِبر وأقل الاعتبار»[٣١] .

المرجع

اعتمدت في هذا الحديث على كتاب «نهج البلاغة» بأجزائه الأربعة ، وهو مجموع ما اختاره السيد الشريف الرضي من كلام الإمام علي بن أبي طالب ، وكما شرحه الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، في الطبعة القاهرية الاولى . التي أعادت تصويرها وطباعتها دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت .

والرقم المنشور في نهاية كل جواب يشير (في الجدول المبين أدناه) الى رقم الصفحة والجزء المأخوذ منه هذا الحديث . مثلاً : رقم (١) ٤/٢٣ يعني الصفحة ٢٣ الجزء الرابع .

---

(٢٥) ٤/٩٤ .
(٢٦) ٤/١٤ .
(٢٧) ٤/٤١ .
(٢٨) ٤/٩ .
(٢٩) ٤/٤ ـ ٣/٥٤ .
(٣٠) ٤/٧٢ .

لو علموا

في بلاغة الإنشاء : نفذ التطبيق التحليلي على نص «السقيا» ، كعمل تعبير تام ، من «نهج البلاغة» للإمام علي(ع) .. كما نلاحظ في «رسالة النداء» .. ثم في «تاج الإنشاء» .. لكن هذا التطبيق : كان في كل اسلوب ، إنما على نصوص مختارة جزئية .. منها : ما هو قرآني .. ومنها ما هو نبوي .. ومنها ما هو أدبي أو لغوي .. إذاعي أو صحفي .. ليكون تنوع الأمثلة المحلّلة : جاذباً الى وحدة الحياة والبلاغة .. والى صداقة القول والفعل ؛ لأن البلاغة كلها : بلوغ ذاتي وتبليغ غيري .. ومدار البيان : «الفهم والإفهام» ، كما قرر الجاحظ في «البيان والتبيين» وغيره في كثير من الآثار .. بل كما قررت القوانين الموحاة والموضوعة على حد سواء ؛ أليس «التعارف بين القبائل والشعوب» : توجيهاً موحى به ؟ .. أليس «ميثاق الأمم المتحدة» قائلاً بالتعاون بين الشعوب فيما بينها ..؟... وتلك هي رسالة البلاغة : الفهم والتفاهم .. وجاهل الآخر يعاديه ؛ لأن «الناس أعداء ما يجهلون» .. ولكن الرب هو الأكرم .. وهو الذي «يعلّم الإنسان ما لم يعلَم» ..

إن إحياء أمر التواصل بين الناس و«مدبر الأمر من السماء الى الأرض» : مسألة بلاغية إبلاغية ؛ يقول الإمام الرضى ، علي بن موسى(ع) :

«رحم الله عبداً أحيا أمرنا .. يتعلم علومنا ويعلمها للناس .. فإن الناس : لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا .. والرب تعالى واحد .. والأب واحد .. والأم واحدة .. والجزاء بالأعمال» .. فهل بقي من سبب لتباعد الناس سوى الجهل بمعنى البلاغة ؟

سعيت ، بمودة خلق الله ، الى «محاسن الكلام» .. وجربت إحياء «نماذج من أساليب الإنشاء» .. وأسمى لأفجر «عين الحياة» من أعماق التراث ووارثيه ..

إن أمثلة المداخل : زيادة حسنى ؛ لتروّجَ أرج الإعجاز .. وتُشوّقَ الى حقول منه ؛

أليس لأهل الذوق إعجاز منطقٍ

وعالم تخييلٍ مع الحق يلتقي ؟!! ..

أسعد علي